نشأة الشِّعريَّة وتطوُّرها

الأستاذ:الحسين سريدي

جامعة سيدي بلعباس.

ملخص

تعدُّ الشِّعريَّة من المسائل النَّظرية التي نَمَتْ، وتطوَّرت بفضل العودة إلى كتب التراث؛ إذْ انَّها ترتكز على مفهوم الجماليَّة، ومن هذا المنطلق نظر "أرسطو" إلى كون المحاكاة عمليَّة وظيفيَّة بالنِّسبة للإبداع؛ لأنها تَتَنَامَى بفعل الحداثة، الأمر الذي بموجبه يتمُّ تصوير الواقع المرتبط بالكشف عن عوالم النَّص الأدبي، أمَّا الفكر البنيوي البارز في عملية القراءة فهو أمرٌ يحيلُ إلى الِاعتماد على المقاربة، التي بفضلها يحدُث التَّقابل بين اللُّغة الشِّعريَّة، واللُّغة اليوميَّة؛ لأنَّ الإبداع يَتَعَالى عن المألوف؛ ذلك راجعٌ إلى أنَّ سلطة التراكيب النَّحويَّة تفرض سيطرتها، وثباتها، وبالتَّالي خلق فَجوات في النَّص؛ ليقَعَ عليه فعلُ القراءة، وبالتَّالي يتعدَّد المعنى الذي يشحنُ المعرفة بحدود التَّأويل المشكِّلة لحصيلة جماليَّة النَّص وِفْق خلفيات ذات أبعاد متفاوتة في التَّأثير، ومن ثمَّة تظهر لغة الِانزياح بفضل الغموض البعيد عن التُّراث، والطُّقوس الجاهزة.

الكلمات المفتاحيَّة: الشعريَّة، الجماليَّة، القراءة، الِانزياح.

Résumé:

La poétique est parmi les matters théoriques qu'elle développe grâce au retour des livres du patrimoine; Comme il a porté sur le concept esthétique, En ce sens Aristote vu que la simulation est processus fonctionnel pour la créativité; parce qu'il grandir par la modernité, ce qui présentes Il est dépeint la réalité lié détecte mondes de texte littéraire, quant àpenser structuraliste principal dans le processus de lecture est quelque chose qui se réfère à compter sur l'approche, à laquelle donne la Concordance entre le langage poétique, le langage quotidienne; Parce que la créativité transcende l'ordinaire, il est là montré la langue de écart grâce à L'incertitude à terme pour le patrimoine, et les rituels prêts.

Les mots clés:poétique, esthétique, lecture, écart.

يعد كتاب فن الشعر "لأرسطو" **(Arristou)** (ت322 ق.م) أوَّل مصنف تولَّد من خلاله مصطلح الشعريَّة، باعتباره المُحرِّك الأساس لمفهوم الجماليَّة، بل"صار يؤصِّل لمنهج يسير عليه النقاد في معالجة الأدب، وقضاياه."[1]

لكن، ما الدَّليل على كون هذا المصنف سبيلاً لمعالجة القضايا الأدبيَّة ؟.

قيمَّ أرسطو المحاكاة**(Simulation)** على كونها مجرد اِستجاباتٍ لدوافعَ نفسيَّة، تهدف إلى كون العقل عاجزاً عن بلوغ المعرفة خصوصاً ما تعلق بالماورائيات، ومن ثمة كان لزاماً على المبدع الإيمان بأنَّ الفن يؤدي وظيفته بنفسه؛ بدليل أنَّه ضرب من الإبداع.

وعليه فإن اِلإستجابة عند "أرسطو":"جزء أساسي من بنية العمل الأدبي؛ لأن الأصل في وظيفة الفن هي تحقيق اِلإستجابة لدى المتلقي من خلال تمكين المعنى الأدبي لديه بواسطة عمل الاستجابة."[2]

يولد من رحم اِلإستجابة كلٌّ اِلتزام فني يعايش من خلاله القارئ التجربة، ومن ثمة يشارك في صنع المعنى، ليتحول النص بعد ذلك إلى فوهة بركان تنصهر منها توقعاتٌ تُفضي إلى كونه (النص) حياً، ومستحوذاً على عقل القارئ، باعتباره يملك اِنفتاحاً بفعل الحداثة، وملكة تتجاوب مع الأثر الإبداعي.

إنصب النقد القديم على الأدب بشقيه: شعراً ونثراً، إذْ كان الناقد مصوِّراً، وموجِّهاً، الأمر الذي دفع به إلى البحث في أسس النَّظريات، وميلادها. ومن ثمة يتسنى له التعرُّف على الإشكالات، والتَّداخلات المعرفيَّة، والمنهاجيَّة، التي لطالما أبرزت النُّقلة الأساسيَّة، والجوهر النوعي للكتابة.

"إن حديث "أرسطو" عن الشعر والنثر- برغم عدم وجود مصطلح يدل عليهما في عصره- يهدف من خلاله إلى توضيح قوانين الفن الذي يعتمد على اللُّغة(...)، فحاول البحث في ماهية أنواعِالأدب برغم اِختلافها عن بعضها البعض في بعضِ الخصائص،واِجتماعها تحت مظلَّة واحدة،وهي أداة المحاكاة، ونقصد بذلك اللُّغة."[3]

([1])أمحمد العماري،مفهوم الشِّعرية واتجاهاتها،مجلة الحكمة،كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ع:06 ، 2011،ص46.

([2]) عبد القادر عبو، فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة- بحث في آلية تلقي الشِّعر الحداثي، منشورات اِتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط 2007 ،ص60.

([3]) أمحمد العماري، مفهوم الشِّعرية واتجاهاتها، مجلة الحكمة ،(م.س.ذ)، ص47.

الذي يزيد مفهوم المحاكاة وضوحاً باعتبارها تسمو إلى درجة كونها ليست صوراً فوتوغرافيَّة، أو تقليديَّة، بل تعدُّ تصويراً فنياً للواقع، الذي ينفرُ من المواقف السَّوْداويَّة؛ بحكم كونه يهدف إلى مجافاة العوالم الغيبيَّة كالأساطير. وإلاَّ لماذا اعتُبرت الذَّات الفاعلة مركزاً للإبداع؟، ولماذا كان بعض الشِّعر يسعى إلى تشخيص ما تنطوي عليه النفس من مثالب،كالحسد والأنانيَّة؟.

يتضح مدلول الشعريَّة عند "ابن سينا" (ت428 هـ) باعتبارها قوة مؤَلدة للمحاكاة، والألحان، وهذا المقصود يرتبط بفن الشعر على وجه الخصوص.[4]

تعدُّ القوى الكامنة، والمحصِّلات الإبداعيَّة – المتناميَّة الدوافع – بمثابة المحرِّك الذي دفع العرب القدامى إلى الِاختلاف في نظرتهم للشعريَّة؛ فمنهم من ربطها بالتلذُّذ بالمحاكاة، ومنهم من ربطها بفن الشعر، أو تفضيل جيِّده عنْ رديئه.

وإلى جانب قضية المحاكاة، والألحان التي ارتبطت بفن الشعر إقترن البحث في الشِّعريَّة بالتركيز على الخطاب الشِّعري، أو الخطاب الأدبي ، إذْ يرى "حازم القرطاجني"(ت 684 هـ) أنَّ الشِّعريَّة في الشعر نظمٌ، أي لفظ،كيف اتَّفق نظمه، وتضمينه.[5]

يشترط في شعرية الشعر اِرتباط المعنى باللُّغة؛ إذِ المعنى يتشكل من داخل النص في فحْوى العلاقات، والتَّراكيب أياً كان مردُّها.ويزيد دوره وضوحاً حال اِتفاق اللَّفظ معه، وموافَقَته لقرائنه.

هذا وقد بدأت الشعريَّة العربيَّة في التَّبلور منذ الستينات؛ باعتبارها تصف النُّصوص الأدبيَّة، وتكشفُ عن قوانينها الجماليَّة التي تمثل التحاماً بين الأسلوبيَّة، والأدبيَّة. [6]

كيف برزت الشِّعرية العربية في أولى مراحلها، وما الغاية منها؟.

يشير القول إلى كون الشعريَّة العربية نَمت، وبدأت في الظهور بوصفها لعالم النص الأدبي.شأنها في ذلك شأن تناسق الألوان للرَّسام، ومن ثمة يتسنى للمبدع

([4]) ينظر، أمحمد العماري، مفهوم الشِّعرية واتجاهاتها، مجلة الحكمة ،(م.س.ذ)، ص 50.

([5]) ينظر، حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، (م.س.ذ)، ص28.

([6]) ينظر، عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1985، ص18.

الكشف عن الحُسن، والملاحة، ومواطن التَّداخل وصولاً إلى أسباب التَّوصّل إلى فنون القول، والقالب الذي يُفرْغ فيه النِّتاج الأدبي.

والحق أنَّ الشعرية قد ولدت في مطلع النهضة اللِّسانية الحديثة، مع الفكر البنيوي في طوره الشَّكلاني، فاعترف بعض النقاد البنيويين،وعلماء اللِّسانيات بأحقية السِّيميائية للشِّعرية وفضلها عليها.[7]

لا تسعى الشعرية لأنْ ترقى بنفسها كمنهج له قواعد، وضوابط، وخلفيات، وأدوات إجرائية؛ لذلك اتخذت ضالتها من الفكر البنيوي؛كونه يعتمد على المقاربة، وبالتالي يتعدَّد المعنى، أما أحقية السِّيميائيَّة عليها تحيل إلى كونها تحمل موضوعاً مجرداً في طياتها هو الأدب ذاته.

" في الوقت الذي كان معتاداً بالنسبة للأدباء التقليديين توجُّه دراساتهم نحو تاريخ الثقافة، أو الحياة الاِجتماعيَّة، فإن الشكلانيين وجهوها نحو اللِّسانيات، التي كانت تتقدم بوصفها علماً يتداخل مع الشِّعريَّة في مادة دراستها ".[8]

لكن، ما هدف كلُّ طرف من دراسته؟.

إنْ كان الأدباء يسقطون دراساتهم على الاِهتمام بالشَّكل الفني، الذي يسلط الضوء على صور الأشياء الخارجيَّة، ومقابلتها بالمادة المكوِّنة لها، فإنَّ الشَّكلانيين صرفوها نحو اللِّسانيات؛ من ذلك مثلاً ربْطُ نظريات معينة بواسطة وحدات من النَّحو، و الفونولوجيا **(Phonologio)**، وتعد هذه الأخيرة ضرورة مُلِحة للبحث في جزء من مادة الشِّعريَّة.

وضع الشّكلانيون الرُّوس تصوُّرات، من بينها:

- وضع مقابلة بينااللُّغة الشِّعريَّة،واللُّغةاليوميَّة،وهي منهجية لتأسيس نظرية الشِّعر.
- محاولة وضع نظرية في القراءة من التقابل بين اللُّغة الشعريَّة، واللغة اليوميَّة.[9]

([7])ينظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاِختلاف، الجزائر، ط01، 2008، ص 271.

([8])آن إينو وآخرون، السيميائية– الأصول، القواعد، والمقولات، تر: رشيد بن مالك، دار مجد لاوي، عُمان (الأردن)، ط 2008، ص145.

([9]) ينظر، نوارة ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس، دار الأمل، د: بلد، ط 2008، ص.ص 11-12.

تهدف المقابلة بين اللُّغة الشِّعريَّة، واللُّغة اليوميَّة على وجه الخصوص إلى كون بعض المفردات أكثر دلالة، وأكثر إيضاح للمعنى الشِّعري، أما النظريَّة التي نادواْ بها فتهدف إلى خلق فجوات في النص الذي يقع عليه فعل القراءة، وبالتالي فتح المجال أمام إبراز مواطن الجمال؛ بهدفِ التوصُّل إلى ثنائية تتحقَّق بالتأويل، والِانطلاق من التجربة الحاصلة في الواقع.

أخرَج الشكلانيون الروس الخطاب الشِّعري من المرجعيَّة باختلاف صوَّرها، وأشكالها، حيث اتخذواْ له عالماً مميزاً، حتى ولىَّ النص عندهم بنية ذات نظام ومنطق.[10]

فالخطاب الشعري يسمو بكونه ينفرد ببنيةٍ تتعدَّدُ حقول اِستعمالاتها تبعاً لِاختلاف المنطلقات الفكريَّة، والطرائق المنهجيَّة، الأمر الذي يحيل أنَّها ذات نظام يسعى إلى إعادة التركيب، والبناء بعد الكشف عن وجوهات المنطق وفق أنساق ترمي إلى إبراز سرِّ التفاعل بين النمط التواصلي، والمرجعيات الأوَّليَّة.

" وقد سبق للشاعر "مالارميه"**(Mallarmé)** أنْ جَعْلَ من الشعر نقلاً للأحاسيس، والشُّعور بأشكال لغويَّة. وصياغة هذا الشعور هي صياغة واقع جديد يحلم به.إنَّها عمليَّة بمثابة دعوة لتغيير الواقع، وإحياء واقع جديد، لذا سُميت شعريتُه بشعرية الِابتكار **(inovation)** أو الإيحاء **(Connotation)**.[11]

يرتقي الشعر إلى مرتبة من النضج؛ بحكم كونه عمليَّة نقل خلَّاقة للأحاسيس؛ فكثيراً من الأعمال الأدبيَّة نجد فيها سمات إبداعيَّة متميزة لكن طابع الشاعر فيها خالٍ من الإحساس الذي عُدَّ من دواعي نقل الصور الذِّهنيَّة من الخارج إلى الأعماق؛ بغرض تغيير وجوهها الحسِّيَّة بكل صدق، وعقلانيَّة.

"إنَّ الحديث عن مصطلح الشعريّة في قراءة "عز الدين إسماعيل" يقود إلى القول إنَّها شعريَّة اِلتحام الشكل،و المضمون (...) فهي شعرية تتشكَّل بالصورة، واللُّغة، والإيقاع ".[12]

ترمي شعريَّة اِلتحام الشكل بالمضمون إلى أنَّ المُتعة الجماليَّة للإبداع الشِّعري متحرِّرة من الأفكار الِاجتماعيَّة والإيديولوجيات المذهبيَّة، فينساق الشَّاعر معها

([10]) ينظر، (م . ن)، ص13.

([11])ينظر،(م. ن)، ص 13.

([12]) (م . ن)، ص 28.

دُونَما جَرْيٍ وراء غريبٍ، أو مغالاةٍ في الصياغة بل ينبغي إعمال الفكر؛ لعدم الوقوع تحت وابِل المعاني.

وبوجهٍ آخر صرَّح "كمال أبو ديب"بميل الشِّعريَّة إلى اللِّسانيات بالِاعتماد على لغة النص من حيث الصوت، والدلالة، وهذا أشبه ما يكون بمفهوم الشعرية لدى "جان كوهن" **(Jean Cohen)**، وذلك بانحرافها عن المعنى، والتركيب.[13]

أشار "كمال أبو ديب" إلى كون الشِّعريَّة تأْخذ طابعاً لسانياً؛ من خلال كونها جمعت بين شُتات من وحدات اللُّغة، والنِّظام التواصلي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تم إخضاع العمل الإبداعي إلى التحليل الشكلي، وإسقاطه على الدِّراسة العلميَّة، ومن ثمة يكتسب صبغة لا نهائيَّة، لذلك خرقت شعريته بنية التوقعات.

أمَّا "عبد الله الغذامي" ينظر إلى الشِّعرية على أنها تتخذ الحداثة سبيلاً لها. فتوصف بكونها مفتوحة،كإمكانية لمعانٍ لم تأتِ من بعد.[14]

وما دامت شعرية "الغذامي" تحاول التوصُّل إلى معانٍ لم تأتِ من قبل، فهي شعريةٌ تحيل إلى التَّساؤل. الأمر الذي بدوره يؤدي إلى فتح الآفاق، وتعدُّد القراءات، واتِّخاذ شُحْنات معرفيَّة أكثر دقة هدفها الوصول إلى ما أسماه البنيويون: بالمسكوت عنه، إذْ لا يستطيع القارئ التوصُّل إلى حدّ تأويلي ينْفي سابقه.

أخذت الشعريَّة الحديثة تتجاوز حيِّز اللُّغة العاديَّة، وتتعداه إلى حدود الِانفتاح، والتَّجاوز، والِانزياح، إذْ كانت الشِّعريَّة الغربيَة في نشأتها متصلة بحدود الشعر، والنُّفور من الِانغلاق؛ بهدف التريُّث في البحث عن مرجعياته، أمَّا تداخل القوانين فهو محصِّلة لجمالية النصوص.

وأخذت الشِّعريَّة تتطور باتخاذ مصطلحات تزداد دقة بتعدد المرجعيات والإيديولوجيات المعرفية، حيث عَرَفها العرب على نحو أسماء منها: الشَّاعرية، شعر الشَّاعر، القول الشِّعري، القول غير الشِّعري، والأقاويل الشِّعريَّة.[15]

([13]) ينظر،(م . ن)، ص 29.

([14]) ينظر، بشير تاوريريت، الحقيقة الشعريَّة على ضوء المناهج النقديَّة المعاصرة والنظريات الشِّعريَّة – دراسة في الأصول والمفاهيم ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 01، 2010 ، ص 349.

([15]) ينظر، مولاي علي بوخاتم ، مصطلحات النقد العربي السيماءوي– الإشكالية والأصول و الِامتداد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 2005، ص 263.

يحيل هذا التَّطوُّر إلى أضرب التَّفرقة والإختلاف، الأمر الذي دفع المبدع إلى إعطاء كلٍّ منها صبغة خاصة؛ لمحاولة إيصالها إلى القارئ من خلال التَّمعُّن في جمالياتها.

ما هدف وُرود مصطلح الشعرية بمصطلحات تُقاربه؟.

وفي خضم هذه المصطلحات ورد مصطلح الشِّعريَّة في بعض المعاجم الفرنسيَّة باسم البويتيك **(Poétique)** باعتبارها إنتقاداً يسمو بتسليط الضوء على عمل الكتابة الشِّعريَّة. [16]

وبالرغم من الدِّقة في المصطلحات وتخصيص لكل منها دلالة تتعدد الرؤى والأنظار حولها، ليبقى مصطلح الشِّعريَّة مفهوماً يحمل خلفيات ذات أبعاد غير محدودة.

" يمكن القول (...) إنَّ الشِّعريَّة **(Poétique)** علمٌ عام، موضوعه الأدبيَّة، يَرُومُ القيام علماً للأدب، غايته إستنباط الخصائص النوعيَّة، والقوانين الداخليَّة للخطاب الأدبي في شموليته الجنسيَّة، والكميَّة". [17]

وإنْ كانت الشعريَّة علماً عاماً موضوعه الأدبيَّة، فذلك راجع إلى كون هذه الأخيرة تهدف إلى البحث في رسائل التواصل الإبلاغيَّة؛ لتقنين القوانين، والأسس التي تظهر بعد نضج التجربة، وتكييف مادتها.

أما الأدبيَّة "**Litterarite**" و"السِّماتالشِّعريَّة " "**Poéticite**" فيستويان، ويتوازيان مترادفين موضوعاً للشعرية، مع فارق يسير هو أنَّ المصطلح الثَّاني غالباً ما يقتصر على جنس الشِّعر ليصبح مرادفاً لجمالية النَّص الشعري، وتضيق دلالته – إذن – عن دلالة الأدبيَّة ". [18]

يتضح مفهوم الشِّعريَّة بوجه مغاير من خلال ربطه بالشِّعر والبحث في خصائصه، حتى يتسنى للمتلقي التأكُّد من كونه شعراً. أما الأدبيَّة فتنفرد بكونها تشمل علم الأدب إلاَّ أنَّها تخرج من حيِّز الشِّعر أحياناً وهذا لا يعني عدم موافقتها ووقوعها على الدِّراسات الفكريَّة والنقديَّة.

([16]) ينظر، (م.ن)، ص264.

([17]) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد،(م.س.ذ)، ص 279.

([18]) ينظر، مولاي عي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي، (م . س . ذ)، ص 265.

وبعد ذلك نهجت الشِّعريَّة نهجاً آخر توافرت فيه الدِّراسات، وتمازجت حتى تم التوصُّل إلى إبراز علاقتها بنظريات أخرى مِن بينها:

1- الشِّعريَّة/الأدبيَّة ، ومنها اعتبرت الأدبيَّة **(Litterarite)** موضوعاً للشِّعريَّة.

2- الشعريَّة/الأسلوبيَّة.

3- الشعريَّة/التأويليَّة.

4- الشعريَّة/اللِّسانيات. [19]

يهدف اتِّصال الشِّعريَّة بهذه النظريات إلى كون كل منها يؤدي دوره الفعَّال للوصول إلى مفترق طرق يحكمه نظام الأولويَّة، فمن الأدبيَّة يبرز منشأ موضوع الشعريَّة، فالأسلوبيَّة التي من أجلها يتم البحث في مقوِّمات أسلوب الشاعر، وموضوع لغته، ثم التأويليَّة التي تبرز حدود القيمة الجماليَّة في حال وجود غموض يتخلَّل العمل الشعريّ و هكذا...

بيْدَ أنَّ هناك تغيُّر جذري يبدأ مع "عبد الملك مرتاض" حين يقول: مصطلح الشعريَّة يوافق لفظ **"Poéticite"** كمفهوم يتعلق بجمالية الشعر ثم الشَّعرانيَّة الذي يقابل مصطلح **(Poétique)** الذي ينصرف نحو نظرية الشِّعريَّة. [20]

نزع" عبد الملك مرتاض" نزعة حداثيَّة من خلال عدِّه الشِّعريَّة موافقة لتوجهات حداثيَّة تنفر من قوقعة التراث القديم الذي ظل خاضعاً للتَّجريب، والموازنة بين هذا التجريب، والمناهج الحداثيَّة تشكِّل واحداً من الخصائص الجوهريَّة للشِّعريَّة، لكن ما السِّرُّ في ذلك؟.

وفي سياق آخر تبقى الشَّاعريَّة في موازاة مع الأدبيَّة بمقدار ما يوازي الشِّعر الأدب، والشاعريَّة أو الأدبيَّة هي الموضوع الحقيقي للشِّعريَّة. [21]

مهما يكن من اِختلاف في المصطلحات فإن المفهوم لا يحيد عن حيز الشِّعر، أمَّا اِتصال الشِّعريَّة بالشاعريَّة يحيل إلى كون كلِّ شاعر له شعريته الخاصة به بالإضافة إلى أنَّ كل هذه الاِجتهادات بقيت حبيسة أنفاس وطقوس تجريبيَّة وإنْ تعدَّدت الرُّؤى والنظريات لذلك ألْفَيْنا تلك المصطلحات معقدة؛ بدليل أنَّ السبب في تعريبها فقط من باب وجود لبس بينها وبين المصطلحات التي تقاربها في الدَّلالة.

([19])ينظر، (م . ن)، ص 266.

([20])ينظر، (م .ن)، ص 267.

([21]) ينظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد،(م.س.ذ) ص 301.